

النبر ووظائفه في اللغة العربية

The Emphasis and its functions in the Arabic language.

د. رشيدة بودالية*

تاريخ الاستلام: 26-09-2018 / تاريخ القبول: 08-03-2020

doi

التعريف الرقمي للمقال:

الملخص: لا ينتهي الأمر عند الدفاع عن وجود النبر في الاستعمال اللغوي العربي وإنما تكون أكثر أهمية في قضية تقسيم اللغات إلى لغات نبرية ولغات غير نبرية، وعدّ اللغة العربية من القسم الثاني؛ فهذا يجعل الظاهرة اللغوية تعيش حالة الوجود ولكنها لا تمارس الوجود والأثر الإيجابي في استعمال اللغة ودراستها؛ في حين أن النبر لم يلزم موضعاً معيناً في السياقات المختلفة، مما ينبئ أنه نبر تمييزي دلالي يفرق بين المعاني؛ بدليل ما للنبر من وظائف يؤدّيها.

مقدمة: يتقدّم المتكلم نبر صوت معين، أو كلمة معينة، رغبة منه في تأكيدها أو التلميح إلى دلالة ما؛ أيّ أنّ الناطق يستعمل النبر على مستوى الصوت، وعلى مستوى الكلمة المفردة، مثلما يستعمله على مستوى الجملة، أو المجموعات الكلامية.

ويرتبط النبر بالأداء والمعنى العامّ المراد إيصاله إلى السّامع فالجملة العربية - مثلاً- تتكوّن وفق أغراض ومقاصد المتكلمين وتتوزّع بين حالات مختلفة، فيبرز النبر لإظهار أهميتها في كنفها ومضمونها؛ فالزيادة في نبر مقطع صوتي أو كلمة يبرزها، ويلفت

* جامعة أكليّ محند أولحاج البويرة الجزائر، البريد الإلكتروني: boudaliarachida@yahoo.fr (المؤلف المرسل)

النّظر إليها، ويميّزها عن غيرها.

بالحديث عمّا يؤدّيه النّبر باعتباره ظاهرة فوق مقطعيّة، يطرح البحث في هذا المعنى إشكاليّة مفادها: هل يمكن اعتبار النّبر ذا وظيفيّة تميّزيّة في اللّغة العربيّة كما هو الحال في العديد من اللّغات؟ وما الوظائف التي يؤدّيها في اللّغة العربيّة؟

مفهوم النّبر: تحمل كلمة النّبر معنى العلوّ والإرتفاع، يقول (ابن منظور) إنّ النّبر: «مصدر نبر ينبر نبرا، همزه، والمنبور المهموز، ويقال: نبر الرّجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علوٌّ.»¹ ويذهب بعض الباحثين المحدثين إلى القول: «لما كان تصوّر القدماء دائما للنّبر على أنّه الضّغط على الحرف؛ وجدنا أنّهم يتتبعون وجوده على الحروف، ويرصدون آثاره في هيئاتها؛ فإذا الألف مهموزة والواو والياء كذلك، وإذا الهمزة تصبح لقبا من ألقاب الحروف الهجائيّة، وقد كانت مجرد معنى لغويّ مرادف للضّغط أو النّبر، أيّ مجرد تعبير عن حالة من حالات نطق الحروف.»² بهذا نخلص إلى أنّ الهمزة بعدما كانت تعني الضّغط عند العرب القدماء؛ أصبحت صوتا لحرف من حروف الهجاء، والسبب راجع إلى كونهم كانوا يرصدون تتبّع النّبر على الحروف؛ فوجدوه يظهر بشكل بارز في الهمزة فاتّخذت بذلك هذا اللّقب.

تفيد دراسات اللّغويين المعاصرين؛ أنّ النّبر في العربيّة مرتبط ببنية الكلمة، حيث يرتبط بالمقطع، فالكلمة المكوّنة من مقطع منبور، فالمقطع الواحد منبور دائما، ولكن قواعد النّبر نحتاجها في الكلمة التي تحتوي على مقطعين فأكثر³، ويمكن ملاحظة موقع النّبر داخل الكلمة من خلال الصّوابط التّالية⁴:

• إذا توالى عدّة مقاطع مفتوحة يكون الأوّل فيها منبورا؛ ففي كلمة (كَتَبَ)؛ نجد ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة أوّلها منبور؛

• إذا ضمّت الكلمة مقطعا طويلا واحدا، يكون النّبر على هذا المقطع الطويل؛ كما في كلمة (كِتَاب)؛ نجد النّبر على المقطع الثّاني؛

• إذا ضُمَّت الكلمة مقطعين طويلين؛ يكون النبر على أولهما كما في كلمة (كاتب)؛ نجد مقطعين طويلين أولهما مفتوح، والثاني مغلق، والنبر على المقطع الأول.

وظائف النبر.

أ - الوظيفة الصوتية: من المعروف أنّ أداء الكلام لا يجري على طبيعة صوتية واحدة؛ بل يتمّ الضّغط على بعض المقاطع أكثر من غيرها، ممّا يتبعه نوع من الوضوح السّمعيّ، ولذا فإنّ النبر يقوم بوظيفة نطقية تتّصل في المقام الأول بالنّظام الصوتيّ للغة بحيث نجد أداء المتكلم يقسّم الحدث الكلاميّ المنطوق إلى أقسام ترتبط بأهميّة المقاطع التي يؤدّيها من ناحية، وبإيقاع تنقّسه الطبيعيّ من ناحية أخرى⁵.

وتتمثّل وظيفة النبر الصوتية - أيضا- في سرعة الأداء الكلاميّ فقد استقرّ في الدّراسات اللّهجية الصوتية؛ أنّ اللّهجات والبيئات اللّغوية التي تميل إلى السّرعة في أداء الكلام؛ تتوسّل بالنبر من أجل بلوغ هذه السّرعة⁶، ولا بدّ من التّوضيح هنا أنّ سرعة الأداء تمثل سببا، ووظيفة للنبر في آن واحد.

بالرّغم من أنّ الكثير من علماء اللّسانيّات؛ رأوا أنّ النبر في العربيّة لا يؤثّر غالبا في تحديد معاني الكلمات في الجمل، فإنّ له دورا لا يمكن إهماله في ذلك، ولعلّ من أبسط الأمثلة، وأوضحها التي تبين طبيعة النبر، وأهميته في تحديد المعاني أنّ التقطيع العروضيّ لتركيب (مدرّس العربيّة)، وتركيب (مدرسو العربيّة) من قولنا: (جاء مدرّس العربيّة) و(جاء مدرسو العربيّة) هو تقطيع واحد وهو:

م / دَر / سُلْ / عَ / رَ / بِي / يَ / ةِ / ، ولكنّ النبر هو الذي يفرّق بين الجملتين، فإذا قلت لشخص: (جاء مدرّسو العربيّة) دون استعمال النبر؛ فلن يعلم أنّك تتحدّث عن جمع من المدرّسين؛ بل يظنّك تتحدّث عن مدرّس واحد، وهنا يأتي النبر ليفرّق بين الجملتين؛ فإذا أردت الجملة الأولى؛ يجب أن يكون النبر على المقطع / در / وربّما يضعه البعض على المقطع / رِ / ، أمّا إذا أردت الجملة الثانية؛ فيجب أن يكون النبر على المقطع / سُلْ / ، ليدلّ

على أنّ أصلها/ سُولُ/ ، ولكن حذفت الواو لمنع توالي الساكنين على الواو واللام، فتلفظ / سُلُ / في الجملة⁷.

وما يحقّق ذلك هو العلوّ الذي يحصل على بعض مقاطع الكلمة بالقياس إلى المقاطع الأخرى، ويكون هذا العلوّ مصحوباً أحياناً بارتفاع في درجة الصوت، وينتج ذلك من زيادة اندفاع الهواء الخارج من الرئتين حين يشنّد تقلص عضلات القفص الصدريّ، وهو ما أسماه محمود السّعران الارتكاز، وعرفه بأنّه «درجة قوّة النّفس التي ينطق بها الصوت أو المقطع». ⁸

أمّا في قراءة القرآن الكريم؛ فإنّ المعلّمين يلحّون على تعليم المتعلّمين التّرتيل وأنواع التّلاوة، مبينين أنّ السّرعة أو عدمها هي العامل الأساسيّ الأوّل في مدى استيعاب المعاني غير أنّه لا يكفي هذا العامل وحده، وإنّما تتدخّل عوامل أخرى في القراءة وفي تجلية المعنى سواء بالنّسبة للقارئ أو بالنّسبة للمستمع⁹ ولهذا لا بدّ من تشجيع المعلّمين في مختلف أطوار التّعليم على الأخذ بالنّبر عند القراءة القرآنيّة، أو غيرها من قراءة النّصوص الإبداعية¹⁰، وبالرّغم من ذلك فإنّ المتصفّح للكتب التي تعالج تحسين تلاوة القرآن الكريم، -وعلى رأسها كتب التّجويد - لا يقف على إشارة إلى أهميّة النّبر أو مواضعه، كما أنّ طباعة المصحف الشّريف لم تستخدم أيّ علامة تدلّ على مواضع النّبر في التّلاوة¹¹.

ب- الوظيفة الصّرفيّة: انقسم الباحثون إلى فريقين في تصنيف اللغة العربيّة واعتبارها من اللّغات ذات النّبر الحرّ، الذي يقوم بالوظيفة التّمييزيّة، وفيه تتضح العلاقة بين النّبر والصّرف¹²، أو اعتبارها من اللّغات ذات النّبر الثّابت؛ بحيث لا يقوم بالوظيفة التّمييزيّة¹³. هذا التّضارب في الآراء يصعب عمليّة تصنيف اللغة العربيّة نظراً لما تتميز به من خصائص نبريّة معقّدة، وعلى الرّغم من ميل الكثير من الدّارسين المحدثين إلى اعتبار اللغة العربيّة من اللّغات ذات النّبر الثّابت؛ «إلاّ أنّ طبيعتها الاشتقاقية؛ تفرض نوعاً من العلاقة بين الصّرف والنّبر»¹⁴.

يعتبر أنّ تَمَامَ حَسَانٍ من أكثر اللّغويّين المحدثين العرب؛ الذين تحدّثوا عن العلاقة بين الصّرف والنّبر بحيث يقول: «يكون النّبر على مستوى الصّيغة والكلمة ذا وظيفة صرفيّة هي تقديم القيم الخلافيّة التي تفرّق مع الكميّة بين معنى صرفيّ، ومعنى صرفيّ آخر ويمكن بواسطتها مثلا أن نفرّق بين طوائف من الصّيغ مثل : فَعَلَ - فَعَّلَ - فَاعَلَ - فَعِيلَ حيث يفرّق بين الكلمات الأربع بالكميّة، وبين الثّلاث الأولى على المقطع الأوّل، وفي الرّابعة على الثّاني.»¹⁵ إذن النّبر الصّرفيّ له وظيفته التّمييزيّة في اللغة العربيّة، ويفرّق بين معاني الكلمات من خلال ميزانها الصّرفيّ وهو ما يؤكده تَمَامَ حَسَانٍ قائلا: «والكلمات تركيبات من أنساق صوتيّة لها نظامها النّبريّ الخاصّ المستقلّ عن نظام النّبر في الأنساق الكبرى (...)، والواقع أنّ النّبر في الكلمات العربيّة من وظيفة الميزان الصّرفيّ لا من وظيفة المثال (...)، فكلمة (فاعل) نجد أنّ الغاء أوضح أصواتها لوقوع النّبر عليها؛ وباعتبار هذه الصّيغة ميزانا صرفيّاً؛ نجد أنّ كلّ ما جاء على مثاله يقع عليه النّبر بنفس الطريقة مثل: قَاتِل - حَاطِس - نَاقِل - رَاطِب - عَازِل - شَاطِل - صَاطِب - عَازِم - حَازِن؛ حتّى الأمر من صيغة الفاعل: كَجَاهِد - سَافِر؛ تقع في نموذج هذا الوزن فتلقى النّبر على فاء الكلمة (...) ومن هنا لا نكون مبالغين؛ إذا قلنا إنّ النّبر في الكلمات العربيّة موقعيّة تشكيليّة وصرفيّة في نفس الوقت.»¹⁶ فيكون بذلك النّبر واقعا لغويّاً؛ تتطلب دراسته داخل البنية اللغويّة .

ج - الوظيفة الدلاليّة: يمثّل الدّور الدلاليّ الذي يقوم به

النّبر الوظيفة الرّئيسيّة له وتصل هذه الوظيفة بسياق الحال، وتحدّد وفقا لاختيار المقطع المنبور¹⁷ ، وهذا الاختيار محكوم بالأغراض الدلاليّة التي يرغب المتكلّم في توصيلها وإبلاغها للسامع؛ أي: «تمكّن المخاطب من إدراك فحوى الخطاب؛ فيتحقّق بذلك التّفهيم، وينبغي لهذا التّفهيم أن ينتهي إلى السّامع على الصّورة التي يتوخاها المتكلّم،»¹⁷ ويكون التّعامل مع النّبر في هذه الوظيفة على أساس عدّه وحدة صوتيّة من وحدات السّياق الدلاليّ، وهذا النّبر الذي في السّياق إنّما يكون من وظيفة المعنى العامّ، أي أنّه نبر دلاليّ، ومعنى هذا أنّ في اللغة العربيّة نوعين من موقعيّة النّبر في التّشكيل الصّوتيّ.

يمكن أن نمثل لذلك في قوله تعالى في سورة يوسف: (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين) [يوسف : ٣٠] . فهذه الآية يمكن قراءتها بدون نبر فتساوى كلماتها؛ ولكن إذا جُعِلَ النَّبْرُ على (امرأة) «سيكون المعنى أن امرأة متزوجة محصنة صدرت عنها الفاحشة، ولم يسموها باسمها؛ بل ذكروها بالوصف الذي ينادي بقبح فعلها بكونها ذات بعل؛ فصدر الفاحشة من ذات الزوج أقبح من صدرها ممن لا زوج لها،»¹⁸ وتفعل فعلتها تلك فيصبح الأمر بذلك شنيعا، كما أن كلمة (امرأة) تلفت الانتباه عند إشاعة خبرها في المدينة، ويؤدّي إليّ تتبعه، وإغاطة صاحبة هذا الصنيع¹⁹، ولو كانت مثلا: مراهقة أو شابة لكان الأمر أهون، ولأعطي لها بعض العذر، ولكن (امرأة) متزوجة، ولولا ذلك لما جعل الله تعالى عقاب الزاني أو الزانية المتزوجين رجما حتّى الموت؛ على خلاف غير المتزوجين المحدّد بالجلد .

أو يمكن النَّبْر على كلمة (العزيز)، أي: «أن زوجها عزيز مصر ورئيسها وكبيرها وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.»²⁰ وقد «أضغنها إلى زوجها إرادة الإشاعة للخبر؛ لأنّ النفس إليّ سماع أخبار أولي الأخطار أميل، والعزيز: المنيع بقدرته من أن يضام؛ فالعزة أخصّ من مطلق القدرة.»²¹ وهو من طبيعة عناية الناس بأخبار ذوي المكانة الرفيعة في المجتمع وفي هذا إبراز لحرص هذا النوع من النساء على الخطاب الفاضح؛ الذي غرضه فضح الأمر، وإظهار العورات، وإصاق التّهم، والإشهار بسمعة زوجة رجل مهمّ في حكم مصر. وسيكون المعنى: امرأة العزيز تفعل ذلك؛ وشناعة الأمر في كونها امرأة أحد الأعيان ومن مقرّبي الملك وحاشيته، وذي يسر وغنى، وقيل: «إنّ ذلك لقصد المبالغة في لومها.»²² فلو كانت زوجة فلاح، أو خادم، أو جنديّ، أو امرأة معوزّ أو أيّ إنسان عاديّ من طبقة المجتمع الدّنيا؛ لما عملت النسوة على لو ك سيرتها، ونشر فعلتها المخزية بين الجميع؛ ولكن زوجة (العزيز)!

أو إذا كان النَّبْر على كلمة (تراود): الفعل الذي جاء في صيغة المضارع في خطاب النسوة على الرّغم من أنّ الحادث قد

سبق،²³ «فقد عبّر عن (تراود) وهو المضارع الدال على أنّه صار سجيّة لها؛ تخادعه دائماً عن نفسه، كما تقول: زيد يعطي ويمنع، ولم يقلن راودت فتاها.»²⁴ وسيكون المقصود أن المعهود عند بني آدم - بل وحتى عند الحيوان - أن يكون الذكر هو الطالب للأُنثى؛ أيّ هو الذي يراود، وهي التي تتدلّل وتتمنّع فكيف سمحت امرأة العزيز لنفسها أن تحطّ من قدر كلّ إناث الأرض، وتُجِلّ لنفسها ما هو محرّم على الإناث؛ فتأتي بفعل مخز؛ (تراود) ذكراً عن نفسه، ومع كون المرادوة قد مضت فإنّ (تراود) «يقصد استحضار الحالة العجيبة، لقصد الإنكار عليها في أنفسهنّ، ولومها على صنيعها.»²⁵ وهو أمر ما سمع به من قبل !

أو إذا كان النبر على كلمة (فناها) «لأنّه كان يخدمها، وقيل: لأنّ زوجها وهبه لها؛ فهو مملوكها بزعم النسوة، وتعبيرهنّ عنه -الكلمة- بذلك مضافاً إليها لا إلى العزيز لإبانة ما بينهما من التّباين بين النّاشئ عن الخادمية والمخدومية، أو المالكية والمملوكية، وكلّ ذلك لتربيّة المبالغة في اللوم.»²⁶ سيكون مكر النسوة، وتغامزهنّ عليها أكثر وطأة فامرأة العزيز لم تجد غير (فناها)²⁷؛ «والفتى الذي في سنّ الشباب، ويكتمى به عن المملوك وعن الخادم (...) وإضافته إلى ضمير امرأة العزيز لأنّه غلام زوجها؛ فهو غلام لها بالتّبع مادامت زوجة لمالكه.»²⁸ فلو راودت شاباً من الأعيان، أو رجلاً من طبقتها لربّما عدّرها النّاس، ولكنّ بمرادوتها الفتى، وهو عبد عندها يباع ويشترى! فإنّه لن يعذرهما أحد على فعلتها .

إذن فالنبر في مثل هذه الآية الكريمة من القرائن الهامّة التي تساعد على معرفة الدلالة المقصودة، فالقارئ للآية يتعمّد إلى كلمة من هذه الكلمات التي أشرنا إليها فيزيد في نبرها، ويميّزها عن غيرها من كلمات الآية. ويسمّى في هذه الحالة نبر السّيّاق أو النبر الدلالي²⁹ Accent sémantique – Accent contextuel، وهذا النوع من النبر هو الذي يساعد على معرفة مقاصد المتكلّم .

ويرى تّمّام حسّان أنّ هذا النبر إمّا أن يكون تأكيداً، وإمّا أن يكون تقريراً³⁰، ويفرّق الدرس الصّوتيّ الحديث في هذا الباب بين نوعين من النبر، وهما⁽³¹⁾:

• نبر التّوتر: إذا تمّ نطق أصوات المقطع المنبور بمزيد من القوّة لتكون أكثر إسماعاً ووضوحاً من الأخرى³²، للنّبر في هذا التّوع قيمة صوتيّة، فهو من النّاحية النّطقيّة؛ ذو أثر سمعيّ واضح.

• النّبر الموسيقيّ: إذا تمّ إبراز بعض أجزاء الجملة بمساعدة التّغمة، ويسمّى أيضاً نبر التّغيم³³، وهو أقرب إلى موضوع التّغيم منه إلى موضوع النّبر.

نستطيع القول أنّ هذين الشّكلين للنّبر المذكوران في تعريف ابن منظور، عندما جعل النّبر يعني الضّغط على الحرف، ويعني أيضاً ارتفاع الصّوت في الكلام³⁴، وهو تعريف يماثل تحديد المحدثين لأشكال النّبر .

د - الوظيفة التّعبيريّة: يسهم نبر الجملة في إبراز كلمة معيّنة التي تشكّل النّوّة بحيث تتضمّن إيقاعاً بارزاً يقترن به نبر العلوّ الموسيقيّ، ويتحكّم فيه؛ ممّا يؤكّد أهمّيّتها عند المتلقّي، وأمثلة القرآن الكريم «تبين الكيفيّة التي يمكن لنبر الجملة، أو لنبر العلوّ الموسيقيّ أن يحدّد البؤرة أيّ الخبر الجديد، والهامّ في الجملة، ويحدّد مصدر اختلاف تأويل بعض الآيات، ممّا يوضّح جليّاً هذه الوظيفة.»³⁵ لقد مثل أحمد البايبيّ لهذه الوظيفة في الآية الكريمة: (ونادي نوح ابنه) [هود: ٤٢]، ورأى أن القراءة الشّاذة للآية تكون بمدّ المقطع/ نا /، فتصير بؤرة النّوّة التي تمثّل نبر العلوّ الموسيقيّ، وقد يكون النّبر على المقطع/ دي /، وتصبح بذلك كلمة (نادي) هي البارزة، وقد تكون القراءة بالنّبر على المقطع/ ح / فتصبح كلمة (نوح) هي البارزة³⁶.

وممّا يستخلص من ذلك؛ هو أنّ نبر أيّ مقطع من هذه المقاطع المذكورة؛ الغرض منه لفت السّامع إلى الكلمة المراد إبرازها، وذلك بواسطة نبر العلوّ الموسيقيّ، وبالتالي تتحقّق الوظيفة التّعبيريّة للنّبر.

الوظيفة الإيقاعيّة: للنّبر وظيفة إيقاعيّة، ويعتبر الإيقاع آليّة من آليات الجمال للنّصّ، بحيث تكسبه المتعة الجماليّة؛ فالوحدات المشكّلة للنّبر سواء على مستوى الحرف أم الكلمة؛ تؤدّي إلى شحن العواطف والانفعالات في نفسيّة المتلقّي، ولقد جعل

الإيقاع وسيلة سخرها الخطاب القرآنيّ بهدف التأثير، والتّمكن في المتلقّي بقصد الاستجابة والإذعان؛ وقد اعتنى لأجل ذلك باختيار الأصوات الدّقيقة المناسبة، والحدود بين النّبرات حتّى يتشكّل الإيقاع تشكيلاً صوتياً يتناسب مع اللفظ والمعنى³⁷، وقد أشار تَمَام حَسَّان إلى الوظيفة الإيقاعيّة للنّبر قائلاً: «لكلّ من النّبر الأوّلِيّ، والنّبر الثّانويّ قواعد الخاصّة به؛ التي تتسجم مع وظيفته الإيقاعيّة في حدود الصّيغة أو الكلمة.»³⁸ ولا تأتي هذه الإيقاعيّة للنّبر وفق وتيرة واحدة؛ بل تتنوّع تشكيلاتها خاصّة في الخطاب القرآنيّ وذلك لتميّز البنى فيه وتفردّها عن أيّ خطاب بشريّ.

و- الوظيفة الجماليّة: يمثّل الكلام أكثر المهارات مرونة وطواعيّة للبشر، وهذه المرونة قد تكون موهبة عند البعض، وقد تكتسب بالدّربة والتّعلّم عند البعض الآخر وقد يتمكّن المتحدّث من أن يكسب حديثه من الطّلاوة في الصّوت، والحلاوة للمعنى والسّلاسة في القول؛ وذلك عن طريق تباين نبراته، فيصبح كلامه حليّاً، يحلو لدى المتلقّي، ويرغب في الاستماع إليه .

ويتجلّى النّبر بجماليّاته وتأثيراته في كلّ اللّغات، وينعدم عند أولئك الذين ليسوا أهل اللّغة، بدليل أنّه عندما نسمع إنكليزيّاً - مثلاً- يتحدّث العربيّة نعرف بكلّ سهولة أنّه غير عربيّ اللّسان،³⁹ وإن كانت كلماته صحيحة وتراكيبه اللّغويّة سليمة، وسبب هذا الانطباع- غالباً- ما يكون من عدم تمكّنه من إخراج الأصوات من مخارجها الدّقيقة وأيضاً من اختلاف مواقع النّبر عنده بخلاف ما يفعله أصحاب اللّغة الأصليّون، «فنطق اللّغة لا يكون صحيحاً إلّا إذا روعي فيه موضع النّبر»⁴⁰.

لقد تحدّث ابن سينا عن جماليّة النّبر، وربطها بالنّغم، وأشار إلى ذلك بقوله: «ومن أحوال النّغم: النّبرات، وهي هيئات في النّغم مدّيّة غير حرفيّة؛ بيتدئ بها تارة، وتخلّل الكلام تارة، وتعقب النّهاية تارة، وربّما تكثر في الكلام، وربّما تقلّ، ويكون فيها إشارات نحو الأغراض، وربّما كانت مطابقة للإشباع، ولتعريف القطع، وإمهال السّامع ليتصوّر ولفخيم الكلام، وربّما أعطيت هذه النّبرات بالحدّة والثقل هيئات تصير بها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل:

إنّه متجبرّ أو غضبان، أو تصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد أو تضرّع أو غير ذلك، وربّما صارت المعاني مختلفة باختلافها، مثل أن التبرّة قد تجعل الخبر استفهاما، والاستفهام تعجبا وغير ذلك.»⁴¹ يشمل نصّ ابن سينا كلاما مباشرا عن أحوال النغم المتمثلة في التبرّات؛ مماثلا لما جاء في الدّراسات الصّوتية الحديثة، وأنّ التبرّات هي صورة للتّنغيم بشكل غير حرفي، أيّ صوتي غير مكتوب، قد تكون في بداية السّلسلة الكلامية، أو تتخللها، أو تأتي في نهايتها، بل أكثر من ذلك يمكن أن توجد في الكلام بكثرة أو بقلّة؛ وذلك لأجل تحقيق أغراض، منها: الإشباع، القطع التّفخيم وإعطاء مهلة للسّامع حتّى يتسنّى له الفهم ومعرفة الدّلالة من الكلام، ومما يزيد من تأكيدنا علي معرفة ابن سينا للدّور الجمالي والدّلالي للتبرّ؛ أنّه رأى التبرّات التي هي أحوال النغمات امتيازها بالحدّة والثقل التي تدلنا على حالة المتكلّم من كونه متجبرّا أو غضبان أو أن كلامه فيه تهديد أو تضرّع أو غير ذلك؛ بل أكثر من ذلك فإنّها تبين نوع الأسلوب الذي يكون عليه الكلام، أهو استفهام أم تعجب أم غيره من الأساليب.

خاتمة:

• قد يعتبر البعض وضع التبرّ في غير موضعه لا خطر فيه، ما دامت للقارئ القدرة على أداء الكلمات بتشكيلها السليم؛ فالحرف المضموم - مثلا - يؤدّي مضموما، وكذا المفتوح، أو المكسور، لكن تكمن خطورة الظاهرة الصّوتية للتبرّ عند وضع التبرّ في غير موضعه في أحد الأمرين:

أ - إخلال بفصاحة الأداء، فقد تخرج الكلمة خروجا غير مستقيم وإذا اعتبر هذا الأداء أمرا هيّنا للتبرّ، فإنّ الأذن المرهفة الدّقيقة

السَّمع للغة العربيّة تمجّه وتنبذه، ولا تطيق سماعه، لأنّ سماعه يشعرها بالاعوجاج ممّا يجعلها تنفر منه.

ب - فساد جميع مستويات اللغة العربيّة عند وضع النّبر في غير موضعه، وهذا هو الخطر الأكبر، بحيث أنّ الإخلال في أداء الصّوت يتبعه فساد في بنية الكلمة، ويأتي بعده فساد في النّحو؛ لينصبّ هذا الفساد على الدّلالة.

• ظاهرة النّبر وقواعدها تحتاج إلى قوّة إدراكيّة، وملاحظة دقيقة، وأذن مرهفة السّمع وما يساعد على الوقوف عليها هو معرفة المقاطع الصّوتيّة.

• لا بدّ أن نعطي كلّ حرف حقّه من الصّفات والمخارج، وحتّى الكمّ الزّمنيّ لحركة الحرف حتّى لا يخلّ بالمعنى المقصود لأيّ خطاب قرآنيّ أو غيره. وقد يؤدّي النّبر الخطأ فيها إلى إخلال في المعنى، ممّا يستوجب الوقوف عنده والتّنبه لخطورته، والعمل على محاربة الخطأ فيه، حتّى لا تتفاقم الظاهرة أكثر ممّا هي عليها، فلقد انتشرت الظاهرة بين المتعلّمين في أطوار التّربيّة خاصّة، فالمعروف عند العامّ والخاصّ أنّ الأبناء من الجيل المعاصر لا يحسنون القراءة، ويقعون في أخطاء أدائيّة؛ تستدعي استنفار الهمم للقضاء عليها .

قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، تشرّفت بطباعته والعناية به : مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط5، 1432 هـ - 2011م.

أ - الكتب:

1. الأصوات اللّغويّة، د. إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، مصر، د ط، د ت.

2. أصوات القرآن: كيف نتعلّمها ونعلّمها، يوسف الخليفة أبو بكر، مكتبة الفكر الإسلامي الخرطوم، ط1، 1392هـ - 1973 م.
3. بدائع التفسير: الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية، جمع وتوثيق وتخريج: السيّد محمّد يسريّ، دار ابن الجوزيّ، الدمام ط1، 1414هـ - 1993 م.
4. دراسة السّمع والكلام: صوتيات اللّغة من الإنتاج إلى الإدراك، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، د ط، 1420 هـ - 2000 م.
5. دراسة الصّوت اللّغويّ، د . أحمد عمر مختار، عالم الكتب، القاهرة، د ط، 1974 م.
6. اللّغة العربيّة معناها ومبناها، د. تمام حسّان، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة ط2، 1979 م.
7. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الأنصاريّ الخزرجيّ المصريّ، من إصدارات وزارة الشّؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السّعوديّة، د ط، د ت.
8. مدخل إلى علم اللّغة -المجالات والاتّجاهات- د . محمود فهميّ حجازيّ، القاهرة، الدّار المصريّة السّعوديّة للطباعة والنّشر والتّوزيع د ط، 2006 م.
9. مناهج البحث في اللّغة، د. تمام حسّان، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، الدّار البيضاء 1407هـ - 1986 م.
10. نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، الإمام برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعيّ، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، د ط 1404هـ - 1984 م.
11. في علم اللّغة، د. غازي مختار طليمات، مكتبة دار طلاس للنّشر، دمشق، ط3، 2007 م.
12. في اللّهجات العربيّة، د. إبراهيم أنيس، النّاشر: مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، الطّباعة: مطبعة أبناء وهبه حسّان، ط3، نوفمبر 1965 م.
13. في التّنظيم الإيقاعيّ للّغة العربيّة: نموذج الوقف، د. مبارك حنون، دار الأمان الرّباط الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان ط1 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، العلامة أبو

الفضل السيّد محمّد آلوسيّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط4 ، د ت.

14. علم الأصوات، برتيل مالميرج، تعريب، د .عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشّباب، مصر، د ط، د ت.

15. علم اللّغة - مقدّمة للقارئ العربيّ-، د .محمود السّعران، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط1994 م.

16. العربيّة في علم اللّغة الحديث، د .محمّد محمّد داود، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، د ط، 2001 م.

17. تفسير البحر المحيط، محمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيّان الأندلسيّ، دراسة وتحقيق وتعليق: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود والشّيخ عليّ محمّد معوّض، قرطه: د .عبد الحيّ القرماديّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1413 هـ - 1993 م.

18. تفسير التّحرير والتّنوير، الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، د ط 1984 م.

19. الخطابة، الفنّ الثّامن، الشّفاء، أبو عليّ الحسن بن عبد الله تصدير ومراجعة، د. إبراهيم مذكور، تحقيق: محمّد سليم سالم المطبعة الأميريّة، القاهرة، د ط، 1954 م.

ب - المنشورات:

20. الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، د .حمدان رضوان أبو عاصي، مجلّة الجامعة الإسلاميّة - سلسلة الدّراسات الإنسانيّة فلسطين، المجلّد 17 ، العدد: 02 ، 09 يونيو 2009 م.

الهوامش:

- (1)- لسان العرب، ج 07، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الخزرجي المصري من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د ط، د ت، مادة: نبر.
- (2)- علم الأصوات، برتيل مالمرج، تعريب، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشبّاب، مصر، د ط، د ت ص: 168.
- (3)- ينظر: العربية في علم اللغة الحديث، د. محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، د ط، 2001م، ص: 132.
- (4)- ينظر: مدخل إلى علم اللغة -المجالات والاتجاهات- د. محمود فهمي حجازي، القاهرة، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2006م، ص: 48.
- (5)- ينظر: في علم اللغة، د. غازي مختار طليمات، مكتبة دار طلاس للنشر دمشق، ط3، 2007م، ص: 153.
- (6)- ينظر: في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطباعة: مطبعة أبناء وهبه حسان، ط3، نوفمبر 1965م، ص: 115.
- (7)- ينظر: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، د. حمدان رضوان أبو عاصي، مجلة الجامعة الإسلامية - سلسلة الدراسات الإنسانية- ، فلسطين، المجلد 17، العدد: 02، 09، يونيو 2009م: ص: 72.
- (8)- علم اللغة، مقدّمة للقارئ العربي، د. محمود السّعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1994م، ص: 206.
- (9)- لا بدّ من التّويه أنّ المقصود بالقارئ - هنا - هو القارئ العادي للقرآن الكريم؛ أيّ من عامّة النّاس غير المتخصّصين في علوم القرآن من قراءات وتجويد، ولا يقصد به أولئك القراء المشهورين عالمياً بالقراءة فهم أهلي تجويد وترتيل وقراءة مبنية على علم ودراية وطول دربة؛ فالقارئ العاديّ هو الذي يقع في مثل هذه الأخطاء، وتفوته مثل هذه الرّلات؛ فلا يعطي لها اعتباراً، وخير دليل على ذلك ما نقف عليه من أخطاء لغويّة وصوتيّة وأدائيّة عند المتعلّمين في المدارس، ولا نكون مبالغين إن قلنا: إنّ هذه الأخطاء في القراءة والتّلاوة؛ تجري على لسان المتعلّمين في المدارس والجامعات أيضاً.
- (10)- يرى بعض الباحثين ضرورة اعتماد رمز يشير إلى النبر أثناء كتابة النصوص في الكتب التعليميّة (كوضع خط مائل تحت الصّوت الذي يجب نبره، أو تلوينه بلون مغاير للون الكتابة.) وهذا حتّى يتسنى للمعلّمين والمتعلّمين إدراك النبر، وإعطاءه حقّه من الضّغط بالصّوت أثناء القراءة، وبالتالي يكون الأمر تمهيداً لاعتماد النبر أثناء تلاوة القرآن الكريم. - ينظر: أصوات القرآن: كيف تتعلّمها ونعلّمها، يوسف الخليفة أبو بكر، مكتبة الفكر الإسلامي، الخرطوم، ط1، 1392هـ - 1973م، ص: 13 وما بعدها.
- (11)- ينظر: المرجع نفسه، الصّفحات نفسها.

- (12)- ينظر: دراسة السَّمع والكلام: صوتيات اللّغة من الإنتاج إلى الإدراك، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، د ط، 1420هـ - 2000م، ص: 238.
- (13)- ينظر: دراسة الصّوت اللّغويّ، د. أحمد عمر مختار، عالم الكتب، القاهرة، د ط، 1974م، ص: 357.
- (14)- القضايا التّطريزيّة في القراءات القرآنيّة: دراسة لسانيّة في الصّواتة الإيقاعيّة، ج 02، د. أحمد البايبيّ، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص: 71.
- (15)- اللّغة العربيّة معناها ومبناها، د. تمام حسّان، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ط2 1979م، ص: 171.
- (16)- مناهج البحث في اللّغة، د. تمام حسّان، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، الدّار البيضاء، 1407هـ - 1986م، ص: 175.
- (17)- في التّنظيم الإيقاعيّ للّغة العربيّة: نموذج الوقف، د. مبارك حنون، دار الأمان الرّباط، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1431هـ - 2010م، ص: 58.
- (18)- بدائع التّفسير: الجامع لتفسير الإمام ابن القيمّ الجوزيّة، جمع وتوثيق وتخرّيج: السيّد محمّد يسريّ، دار ابن الجوزيّ، الدّمام، ط1، 1414هـ - 1993م، ج 02، ص: 470.
- (19)- ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، ج 12، العلامة أبو الفضل السيّد محمّد الألوسيّ، دار إحياء الثّراث العربيّ، بيروت، ط 4، د ت، ص: 225.
- (20)- بدائع التّفسير: الجامع لتفسير الإمام ابن القيمّ الجوزيّة، ج 02، جمع وتوثيق وتخرّيج: السيّد محمّد يسريّ، دار ابن الجوزيّ، الدّمام، ط1، 1414هـ - 1993م، ص: 470.
- (21)- نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، الإمام برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعيّ، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، د ط، د ت، ج 10، ص: 70 - 71.
- (22)- روح المعاني، الألوسي، ج 12، ص: 226.
- (23)- واستحضار الماضي وجعله حاضرا بالمضارع يكون أشدّ في تأثير الكلام؛ «فالتّسوية أئين بصيغة المستقبل الدّالة على الاستمرار، والوقوع حالا واستقبالا، وأنّ هذا شأنها، ولم يقلن: راودت فتاها، وقرّق بين قولك: فلان أضاف ضيفا، وفلان يقري الضيف، ويطعم الطّعام، ويحمل الكلّ؛ فإنّ هذا يدلّ على أنّ هذا شأنه وعادته.» - بدائع التّفسير، ابن القيمّ الجوزيّة، ج 02، ص: 471.
- (24)- تفسير البحر المحيط، محمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيّان الأندلسيّ، دراسة وتحقيق وتعليق: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشّيخ عليّ

- محمد معوض، قرطه: د. عبد الحيّ الفرماڤي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1، 1413هـ - 1993م، ج 06، ص: 266.
- (25)- تفسير التحرير والتنوير، ج 12، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م، ص: 261.
- (26)- روح المعاني، الألويسي، ج 12، ص: 226.
- (27)- فإنها تقرأ بالإمالة وفيه معنى لا يخفى على اللبيب، فالتعبير عنه بالفتى دون الغلام أو المملوك فيه نوع مكر منهن؛ لأن أصل الفتى في اللغة الشاب، فكأنهن يلغزن إلى أنها قد أعجبهن شبابها وطراوته ففتنت به. ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج 06، ص: 266.
- (28)- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 12، ص: 260.
- (29)- ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسّان، ص: 175.
- (30)- ينظر: المرجع نفسه، ص: 177.
- (31)- ينظر التفصيل في نوعي النبر (التوتر - والموسيقى) في كتاب: علم الأصوات، برتيل مالبرج، ص: 188 وما بعدها.
- (32)- ينظر: المرجع نفسه، ص: 188.
- (33)- يرى بعض اللغويين أن النبر في اللغة العربية من النوع الموسيقي الإيقاعي، ويتضح في النبر السِّيَاقِي أكثر مما يتضح في نبر النظام الصرفي، والقصد منه إظهار موسيقى اللغة. ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسّان، ص: 307.
- (34)- ينظر: لسان العرب، ج 14، مادة: نبر.
- (35)- القضايا التطريزية، أحمد البايبي، ج 02، ص: 75.
- (36)- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (37)- ينظر: المرجع نفسه، ص: 76.
- (38)- اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 172.
- (39)- ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، مصر، د ط، د ت، ص: 171.
- (40)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (41)- المرجع نفسه، ص: 198.

